الأمم المتحدة
A/HRC/37/55

الجمعية العامة

Distr.: General
4 January 2018
Arabic
Original: English

مجلس حقوق الإنسان
الدورة السابعة والثلاثون
٢٦ شباط/فبراير – ٢٣ آذار/مارس ٢٠١٨
البندان ٢ و٣ من جدول الأعمال
التقرير السنوي لمفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان وتقارير المفوضية السامية والأمين العام

تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان، المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما في ذلك الحق في التنمية

تقرير المقررة الخاصة في مجال الحقوق الثقافية

مذكرة من الأمانة

تتشرف الأمانة بأن تحيل إلى مجلس حقوق الإنسان تقرير المقررة الخاصة في مجال الحقوق الثقافية، كريمة بنون، عملاً بقرار المجلس ٦/١٩.

وتتناول المقررة الخاصة في مجال الحقوق الثقافية في تقريرها كيف تسهم الإجراءات في مجال الفنون والثقافة إسهاماً كبيراً في إنشاء المجتمعات وتطويرها والحفاظ عليها، وإعمال حقوق الإنسان فيها أكثر فأكثر.

يمكن للإجراءات في مجال الثقافة، بإشراكها الناس وتشجيعها تفاعلهم من خلال التعبير الفني والثقافي، أن تفتح فضاءً يسمح للأفراد والجماعات بالتفكير في قضايا مجتمعاتهم، ومقارعة تصوراتهم بعضهم لبعض وتعديلها، والتعبير عن مخاوفهم وتظلماتهم دون عنف، وبناء القدرة على الثبات بعد مرورهم بتجارب عنيفة أو صادمة، بما فيها انتهاكات حقوق الإنسان، وتصور المستقبل الذي تصبو إليه أنفسهم، وكيف يمكنهم إعمال حقوق الإنسان بشكل أفضل في مجتمعاتهم. فتنامي التفاعل الاجتماعي، والتفاهم، والثقة المتبادلة، التي يمكن بناؤها أو إعادة بنائها بفضل هذه المبادرات، أمورٌ أساسية لتحقيق طائفة من أهداف حقوق الإنسان، واحترام التعددية الثقافية.

وتنظر المقررة الخاصة في الطريقة التي تُمارَس بها الحقوق الثقافية وحقوق الإنسان الأخرى من خلال هذه الإجراءات، وكيف تتأثر بها في المجال الثقافي؛ وفي التحديات المحددة

GE.17-23493(A)
1723493

الرجاء إعادة الاستعمال

التي يصادفها الفنانون والعاملون في المجال الثقافي عند مشاركتهم في مبادرات تعيد النظر في تمثيل المجتمع، وتسعى إلى التصدي لما يواجهه من تحديات معاصرة تتصل بالتمييز والإقصاء والعنف؛ والمساهمة المحددة التي يمكن لهذه المبادرات أن تقدمها للمجتمع؛ ومسؤوليات الفاعلين من الدول ومن غير الدول في تهيئة وإدامة ظروف مواتية للعمل في المجال الثقافي تسهم في إنشاء مجتمعات أكثر احتراماً لحقوق الإنسان.

تقرير المقررة الخاصة في مجال الحقوق الثقافية

المحتويات

		الصفحة
أولاً –	مقدمة	٤
ثانياً –	المبادرات الثقافية والفنية الملتزمة اجتماعياً: الأهداف والتحديات	٥
ثالثاً –	الإطار القانوني الدولي	٦
رابعاً –	إسهامات وتحديات بعينها	٩
	ألف – احتضان التنوع الثقافي	٩
	باء – تجاوز المخاوف والأحكام المسبقة	١١
	جيم – تعزيز القدرة على التكيف	١٢
	دال – إعادة بناء الثقة وتعزيز المصالحة	١٤
خامساً –	استعراض المسائل الرئيسية	١٨
	ألف – الاعتراف بأدوار أصحاب المصلحة الرئيسيين	١٨
	باء – ترسيخ وتعظيم الأثر الإيجابي للمبادرات الثقافية الملتزمة اجتماعياً	١٩
سادساً –	الاستنتاجات والتوصيات	٢٣
	ألف – الاستنتاجات	٢٣
	باء – التوصيات	٢٣

أولاً- مقدمة

١- تركز المقررة الخاصة في مجال الحقوق الثقافية في هذا التقرير على ما تنطوي عليه الإجراءات في مجال الفنون والثقافة من إمكانات لتعزيز التمتع الكامل بحقوق الإنسان، بسبل منها مناصرة الطابع العالمي لحقوق الإنسان وكرامته، وتجسيد التنوع الثقافي واحتضانه، ومناهضة التمييز، والإسهام في المصالحة، والتصدي للأيديولوجيات المتشددة التي تتنافى وحقوق الإنسان. وتستند المقررة الخاصة في تقريرها هذا إلى العمل المنجز في إطار الولاية المتعلقة بالحقوق الثقافية بشأن الروايات التاريخية والتذكارية في المجتمعات المنقسمة ومجتمعات ما بعد النزاع (A/68/296 وA/HRC/25/49)، والحق في الحرية الفنية (A/HRC/23/34).

٢- وممارسة الحقوق الثقافية أمر أساسي لإنشاء مجتمعات سلمية وعادلة واستمرارها، ولتعزيز التمتع بحقوق الإنسان العالمية الأخرى. وتكرم الإنسانية نفسها وتبعث روحها وتتصور نفسها من جديد بالأداء والإبداع في حياتها الثقافية والفنية وبالحفاظ عليها وإعادة النظر فيها. وعبر التاريخ، عمل الناس في كل مجتمع على تحسين حياتهم بالمشاركة في الأشكال الإبداعية والتعبيرية. فكان تراثهم الثقافي وممارساتهم الثقافية وفنونهم موارد يشدون بها الانتباه إلى شواغلهم العاجلة، ويتصدون بها للنزاعات، ويوفقون بها بين الأعداء، ويقاومون بها الاضطهاد، ويتذكرون بها الماضي، ويتصورون مستقبلاً يراعي الحقوق ويكسبونه مضموناً. ويعرب الناس في الكثير من الأحيان عن قيمهم والتزاماتهم الأخلاقية بأشكال وأعمال جمالية.

٣- وتكمن القوة التحويلية للفنون والثقافة في طبيعة تجربتها الجمالية التي تتواصل ضمنها القدرات المعرفية مع المشاعر والعواطف فتنشأ منابر غنية بإمكانات التعلم والتفكير والتجريب واحتضان الأشكال المعقدة. وتتيح الممارسات الفنية والثقافية تجارب لتجسيد المعاني والتمكين بطريقة بناءة لا إكراه فيها يمكن أن تسهم في تحقيق طائفة عريضة من أهداف حقوق الإنسان.

٤- ولما كان لأشكال التعبير الثقافية والفنية تأثير قوي، فإن أصحاب السلطة أو الساعين إليها يستهدفونها أو يتلاعبون بها أو يتحكمون بها. ولعل في الإجراءات في مجال الثقافة ما قد يساعد طبقاً لذلك على الحفاظ على الانقسامات في المجتمع أو الإسهام في التغلب عليها. فلقد أصبح في السنوات الأخيرة واضعو السياسات والمهنيون والمدرسون من مختلف المجالات يدركون أكثر فأكثر ما في الثقافة والفنون من إمكانات لإعادة النظر في تمثيل المجتمع والتصدي لتحدياته المعاصرة مثل الإقصاء والعنف. وهذا العمل الممتاز في المجال المذكور، وهو ممتاز من حيث قوة مساهمته في تعزيز حقوق الإنسان، ينتشر في جميع أنحاء العالم حالياً، ويتضمن إنتاجات فنية عز نظيرها، وأعمالاً يشارك فيها جميع السكان المحليين، وطقوساً واحتفالات عامة تحييها التقاليد الثقافية أحياناً.

٥- وتسعى المقررة الخاصة في تقريرها هذا إلى تحديد إسهامات المبادرات الثقافية في إنشاء مجتمعات آمنة شاملة للجميع وفي تطويرها والحفاظ على استقرارها حيث يمكن إعمال حقوق الإنسان بالكامل. وتنظر المقررة الخاصة أيضاً في الشروط المسبقة اللازمة لتمكين وتعظيم إسهامات هذه الإجراءات في المجال الثقافي. وتنظر بالإضافة إلى ذلك في مسؤوليات الدول والمؤسسات والجهات المعنية الأخرى بغرض تهيئة وإدامة الظروف التي تتيح لكل فرد تشكيل مجتمعات تحترم حقوق الناس في الوصول إلى الحياة الثقافية والمشاركة والإسهام فيها بشكل كامل.

ثانياً- المبادرات الثقافية والفنية الملتزمة اجتماعياً: الأهداف والتحديات

٦- لا ترمي جميع الممارسات الفنية والثقافية إلى بلورة مجتمعات أشمل وآمن تسهم في إعمال حقوق الإنسان. فالفنانون والعاملون في المجال الثقافي يمكنهم المشاركة اجتماعياً في تحقيق هذا الهدف، ولو أنهم غير ملزمين بذلك. وفي بعض السياقات، بما فيها السياقات التي تتسم بالعنف والقمع والرقابة الشديدة والوصم المتعلق بالتعبير الفني أو التمييز ضد بعض الفنانين والعاملين في المجال الثقافي، مثل النساء، ينطوي مجرد المشاركة في الأعمال الفنية والثقافية على معنى عميق الأثر في حقوق الإنسان، بغض النظر عن مضمونها أو أهدافها.

٧- وفي سياق هذا التقرير، تسعى الممارسات والمبادرات الواعية إلى مواجهة التحديات الاجتماعية – مثل التصدي للعقليات التي تفرز الإقصاء، والمساعدة على إعادة التفاهم بين الجماعات والثقة في المجتمع، والسعي إلى التأكيد على احترام التنوع الثقافي أو الإسهام في المصالحة – وترمي إلى تطوير القدرات الفردية والجماعية على المشاركة الوجدانية، والتفكّر، والتفكير النقدي، ومقاومة القمع وانتهاكات حقوق الإنسان، وقبول الاختلافات، وعالمية حقوق الإنسان والمساواة. وفي كثير من الأحيان، يسترشد أصحاب المبادرات في سعيهم إلى تحقيق هذه الأهداف بالتزامات أخلاقية، بمفاهيم منها المعاملة بالمثل، والشفافية إزاء المصالح والنوايا، والإقرار بأن للسلطة ديناميات متعددة. ولهذا السبب، فتأثير هذه المبادرات في المجتمع ليس ناتجاً عرضياً لممارسة فنية أو ثقافية فحسب، بل هو ثمرة مشاركة اجتماعية متأنية ومتواصلة يلزم الاعتراف بها وتقديرها في حد ذاتها.

٨- وتواجه المجتمعات التي هي في طور التعافي من العنف والانقسامات العميقة أو ترغب في معالجة أشكال مختلفة من التمييز وغيره من انتهاكات حقوق الإنسان كماً هائلاً من الاحتياجات التي لا تستطيع مؤسساتها الرسمية تلبيتها وحدها. ومن شأن الإجراءات في المجال الثقافي تلبية بعض هذه الاحتياجات بطرق قد تعجز عنها نهج أخرى[١].

٩- ويمكن الاضطلاع بالإجراءات ذات الصلة في مجال الثقافة بقيادة فرادى الفنانين والفرق الفنية والمؤسسات الثقافية الصغيرة والكبيرة، وبالتعاون بين الفنانين والعاملين في المجال الثقافي وغيرهم من أصحاب المصلحة أو المؤسسات. وهذه الإجراءات متعددة الاستخدامات، ويمكن تكييف أشكالها وأحجامها مع السياقات المحلية. ويمكن وضع أساليب للإبداع للأفراد والجماعات على حد سواء، ويمكن أن تكون صغيرة مثل مهرجانات الأحياء أو كبيرة بما يكفي لتكوّن شبكات عالمية. والباب مفتوح للفنانين والعاملين في المجال الثقافي للعمل في المسارح والمتاحف، وكذلك في مخيمات اللاجئين وروضات الأطفال وملاجئ النساء والسجون والإذاعة والشارع، تبعاً للحالة والهدف.

(١) United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (UNESCO), *Peace and Reconciliation: How Culture Makes the Difference, Proceedings of the Hangzhou International Congress "Culture: Key to Sustainable Development"* (Hangzhou, China, 15–17 May 2013).

مواطن القوة في مختلف النهج وحدودها

١٠- تكمن القوة الإصلاحية والتحويلية للفنون والثقافة في طبيعة ما يتيحان من تجارب جمالية. فهذه التجارب يمكن أن تجسد إبداعات مذهلة تدعو إلى التساؤل والانفتاح على الأفكار الجديدة. ويمكن أن تنشئ ذكريات حية وراسخة للعلاقات والقيم الناشئة من خلال اللوحات الجدارية، والساحات والنصب التذكارية، وتكرار الطقوس. ويمكن لهذه التجارب، بتذكيرها بمعاناة الماضي في أعمال ساحرة الجمال، أن تخفف وطأة ذكريات الضعف والعجز في مواجهة العنف والتعسف، وأن تغري الناجين بتصور مستقبل أفضل والمشاركة في بنائه. ويمكن لهذه التجارب أن تعرض بجمال آسر قصص أشخاص عانوا، وتعيد إلى الضحايا بعض كرامتهم، وتساعد على تفادي تكرارها. ويعزز الإبداع الفني والثقافي الترابط بين أبعاد الفرد المختلفة، وبين المجموعات وداخلها، وبين المستويين المحلي والعالمي. وهي تتيح فرصاً للتبادل والتفاعل لا تعتمد على اللغة الشفهية وحدها.

١١- ويتطلب تناول القضايا الاجتماعية من الفنانين والعاملين في المجال الثقافي تقييم طائفة من الخيارات من حيث النهج والمنهجية. وتتضمن أهم خصائص النهج السليم حيال المبادرات الفنية والثقافية الوعي بالسياق العام والتجاوب معه: مراعاة مصادر قدرة الصمود المحلية، ومستوى الثقة القائم بين الناس وإزاء المؤسسات العامة وسيادة القانون، ومستوى خطر العنف المادي أو العسكري.

١٢- وتنطوي جوانب أخرى غاية في الأهمية على إيجاد أنسب شكل يكون بين النُهج التنازلية المنظَّمة والديناميات التصاعدية التي تغذي مصادر الإبداع المحلية، وتُمكنها من الصمود[٢]، وبين المشاريع القصيرة الأجل التي يسهل رصدها وتمويلها، والمشاريع الطويلة الأجل التي تتيح بناء ثقة أقوى، ومن شأنها أن تُسهم في تحول أكثر استدامة على الرغم من صعوبة تمويلها. ويكمن أحد الشواغل الأخرى في تفادي المزالق المرتبطة بالإفراط في استغلال الفنون والثقافة على حساب الصفة الجمالية والتجرد الثقافي.

١٣- ويتطلب الأخذ بنهج قائم على حقوق الإنسان بغرض تقييم إسهام الأنشطة الملتزمة اجتماعياً في ميدان الفنون والثقافة مزيداً من التفكير في الأهداف والمنهجيات.

ثالثاً- الإطار القانوني الدولي

١٤- تندرج الأنشطة الملتزمة اجتماعياً في مجال الثقافة ضمن إطار الحقوق الثقافية، لا سيما ضمن ما يُعرف بحق كل فرد في المشاركة في الحياة الثقافية، دون تمييز، والوصول إلى إبداع الآخرين والتمتع به، فضلاً عن حقه في حرية التعبير، بما فيها كل شكل من أشكال التعبير الفني.

(٢) تتيح مدينة ميدلين بكولومبيا مثالاً على نهج شامل تنازلي وتصاعدي لاستعادة مدينة ابتُليت بالعنف وذلك من خلال الثقافة، بفضل "قطاع عام جسد اهتمام الجمهور بالثقافة ودعمه بقدر هائل من التبصر والقصد والرعاية لتأتي نتائج ذلك مطابقة لنواياه". انظر مدونة أ. غولدبار المتاحة على الرابط التالي: usdac.us/news-long/2015/12/22/azdluulfj5imog2y995v5xuod09fof, and a description of the approach in http://agenda21culture.net/sites/default/files/files/good_practices/medellin-eng_def.pdf.

١٥- وحق المشاركة في الحياة الثقافية، المكرس على وجه الخصوص في المادة ١٥ من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والذي فسّرته اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تعليقها العام رقم ٢١(٢٠٠٩) بشأن حق كل فرد في أن يشارك في الحياة الثقافية، ينص على حق جميع الأفراد الوصول إلى الحياة الثقافية والمشاركة فيها والتمتع بها والإسهام فيها. وتحمي الحقوق الثقافية حقوق كل شخص بمفرده أو بالاشتراك مع الآخرين، وكذا حقوق مجموعات من الناس من أجل تكريس إنسانيتهم ورؤيتهم للعالم والمعاني التي يخلعونها على وجودهم وتطورهم[٣]. ويشير التعليق العام رقم ٢١ إلى أن الإسهام في الحياة الثقافية يعني أيضاً حق كل فرد في المشاركة في تطوير المجتمع الذي ينتمي إليه، وفي تحديد ووضع وتنفيذ السياسات والقرارات التي لها تأثير على ممارسته حقوقه الثقافية (الفقرة ١٥(ج)).

١٦- وتتضمن الحقوق الثقافية أيضاً حرية الانضمام إلى أي جماعة ثقافية أو الانسحاب منها، والارتباط بجماعات مختلفة في آن واحد، وحرية إنشاء جماعات جديدة لها قيم ثقافية مشتركة، ومعان وممارسات ثقافية جديدة دون الخوف من العقاب، بما في ذلك أي شكل من أشكال العنف. وينبغي أن يكون لكل شخص حرية قبول أو رفض ممارسات ثقافية بعينها، وإعادة النظر في التقاليد أو القيم أو الممارسات القائمة، والتفاوض وإعادة التفاوض بشأنها، بغض النظر عن مصدرها. وتتيح المشاركة النشطة في الفضاء الثقافي إمكانيات حاسمة الأهمية لتشكيل معاني الثقافة وإعادة تشكيلها، وتساعد على بناء السمات المحورية للمواطنة الديمقراطية مثل التفكير النقدي والإبداع والتبادل والشعور الاجتماعي[٤]. وينطوي العديد من الإجراءات في مجال الثقافة أيضاً على ممارسة الحق في التجمع السلمي وتكوين الجمعيات (المادة ٢٢ من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية).

١٧- والحقوق الثقافية هامة في حد ذاتها ومن ذاتها، وهي أيضاً أدوات أساسية لتحقيق التنمية وإرساء السلام والقضاء على الفقر وبناء التماسك الاجتماعي، فضلاً عن الاحترام المتبادل والتفاهم بين الأفراد والجماعات على تنوعها، وتعزيز التمتع بحقوق الإنسان الأخرى[٥]. وبصورة أعم، تتطلب الحقوق الثقافية تنفيذ السياسات التي تعزز التفاعل والتفاهم الثقافيين بين الناس والجماعات، وتبادل وجهات النظر عن الماضي ورؤى المستقبل، وتصميم مشهد ثقافي يعكس ويحترم التنوع الثقافي وحقوق الإنسان العالمية[٦].

١٨- وحيوية الإبداع الفني ضرورة لتطوير ثقافة تنبض بالحياة ولاستمرار مجتمع ينعم بالديمقراطية. وحرية التعبير الفني تكفله المادة ١٥(٣) من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تلزم الدول الأطراف باحترام هذه الحرية التي لا غنى عنها للنشاط الإبداعي؛ وتكفله المادة ١٩(٢) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية التي تؤكد أن لكل إنسان "الحق في حرية التعبير؛ ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى آخرين دونما اعتبار للحدود، سواء على شكل مكتوب أو مطبوع أو في قالب فني أو بأية وسيلة أخرى يختارها". ويتمتع جميع الأشخاص،

(٣) انظر الوثيقة A/HRC/14/36، الفقرة ٩؛ والوثيقة A/67/287، الفقرة ٧.

(٤) انظر الوثيقة A/67/287، الفقرتان ٢٦ و٢٨.

(٥) انظر الوثيقة A/HRC/14/36، الفقرة ٣.

(٦) انظر الوثيقة A/HRC/25/49، الفقرة ٤٨.

دون تمييز، بالحق في حرية التعبير والإبداع الفنيين؛ ويتضمن ذلك الحق في تجربة أشكال التعبير والإبداع الفني والمساهمة فيها بحرية، فرادى أو جماعات، والوصول إلى الفنون والتمتع بها، ونشر أشكال التعبير والإبداع باعتبارها جزءاً من الحق في المشاركة في الحياة الثقافية. ويتضمن ذلك أيضاً حق الأفراد والجماعات في الإسهام، من خلال التعبير الفني والثقافي المناقشات العامة، ورفض ما يُزعم من معتقدات مقبولة، وإعادة النظر في الأفكار والمفاهيم الموروثة ثقافياً[٧].

١٩- ولا ينبغي استبعاد الأعمال المثيرة للجدل من الحق في حرية التعبير[٨]. ومع ذلك، تنص المادة ٢٠ من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية على أن أي دعاية للحرب وأي دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية تشكل تحريضاً على التمييز أو العداوة أو العنف يجب أن تُحظر بموجب القانون[٩]. ويُفهم من الأنشطة الملتزمة اجتماعياً في مجال الثقافة التي يناقشها هذا التقرير أنها الإجراءات التي تمتثل هذه المعايير.

٢٠- ويولي الفنانون والعاملون في المجال الثقافي أهمية خاصة لحماية حرية التعبير، بما في ذلك التعبير الفني، ويسهمون في التصدي للتعصب والإقصاء أو في إعادة بناء الثقة في المجتمعات المنقسمة انقساماً عميقاً وفي أعقاب حدوث انتهاكات لحقوق الإنسان أو حالات عنف لأن من شأن أعمالهم الثقافية أن تثير الجدل بين الذين تحدد فهمَهم للعالم سردياتٌ فردية يغلب عليها التصلب، وبين أعضاء المؤسسات ومسؤولي الحكومات أو الفاعلين من غير الدول الذين قد يفضلون عدم النبش في فظائع الماضي وتركها على حالها.

٢١- وإذا كان يُسمح بوضع قيود على حرية التعبير والتعبير الفني، فإن هذه القيود يجب أن تستوفي العتبة العالية المحددة في المادة ١٩(٣) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، ويجب أن ينحصر ذلك في غرض وحيد هو تعزيز الرفاه العام في مجتمع ديمقراطي[١٠]. وينبغي على وجه الخصوص لصانعي القرار، بمن فيهم المشرعون والقضاة، عند فرض قيود على الحريات الفنية، مراعاة طبيعة الإبداع الفني (وليس قيمته أو جدارته) وكذلك حق الفنانين في المعارضة، وفي استخدام الرموز السياسية والدينية والاقتصادية كخطاب مضاد للقوى المهيمنة، والتعبير عن معتقداتهم ورؤيتهم للعالم[١١].

٢٢- وتمثل إيديولوجيات الكراهية، بما فيها مختلف أشكال الأصولية والتطرف، تهديدات خطيرة لحقوق الإنسان وعالميتها بوجه عام، وللحقوق الثقافية واحترام التنوع بوجه خاص[١٢]. وتُحدث الإيديولوجيات القائمة على منظور أحادي عن العالم وعلى مناصبة العداوة "للآخر"[١٣] انقسامات داخل المجتمع بين الذين يتقيدون بالعقلية المروَّج لها وكل الآخرين الذين لا ينبغي

(٧) انظر الوثيقة A/HRC/23/34، الفقرة ٣.

(٨) الوثيقة نفسها، الفقرة ٣٨.

(٩) انظر النقاش الذي تناول مسائل ذات صلة في الوثيقة A/HRC/23/34، الفقرة ٣١.

(١٠) العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، المادة ١٩(٣)؛ والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، المادة ٤. انظر أيضاً خطة عمل الرباط بشأن حظر الدعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية التي تشكل تحريضاً على التمييز أو العداوة أو العنف (A/HRC/22/17/Add.4).

(١١) انظر الوثيقة A/HRC/23/34، الفقرة ٨٩(د).

(١٢) انظر الوثيقة A/HRC/34/56، الفقرة ٩٤؛ والوثيقة A/72/155.

(١٣) انظر الوثيقة A/HRC/34/56، الفقرتان ٣و٤.

التسامح معهم. ومن ثم، فإعمال الحقوق الثقافية إعمالاً كاملاً أداة في غاية الأهمية لمواجهة تنامي هذه الإيديولوجيات. ومن الضروري الاستثمار في مجال الثقافة وفي السياقات التي تمكن الناس من التعلم، وتطوير إبداعهم، والإحساس بإنسانية الآخر، وممارسة فكرهم النقدي بغرض إنشاء ديمقراطيات ثقافية، وتعزيز مشاركة المجتمع المدني(١٤).

٢٣- وفي أعقاب الصدمات النفسية أو أحداث العنف، بما في ذلك الإرهاب، وكذلك في المجتمعات التي تعرف انقسامات عميقة، يتمثل عنصر مهم من عناصر بناء علاقات الثقة في مواجهة تركات عنف الماضي. ومن شأن عمليات تخليد الذكرى والمصالحة والروايات التاريخية، كل حسب الطريقة التي تُصاغ بها، إما أن تديم الانقسامات في المجتمع أو تُسهم في تجاوزها(١٥). ولا يأخذ تخليد الذكرى شكل معالم مادية فحسب، بل يمكن أيضاً أن يحيل إلى أشكال من التعبير الفني والثقافي. ويتعين الاعتراف على نطاق واسع بإسهامات الفنانين والعاملين في المجال الثقافي في هذه العمليات.

٢٤- وكما ذكر المقرر الخاص المعني بتعزيز الحقيقة والعدالة والجبر وضمانات عدم التكرار، تسهم التدخلات الثقافية إسهاماً كبيراً في قضايا العدالة الانتقالية. فقد أثبت الإدراج الصريح للعناصر الثقافية وإشراك المواطنين في لجان الحقيقة والمصالحة في حالات بيرو وتيمور - ليشتي وسيراليون أنها تزيد من فعالية هذه اللجان. ولاحظ المقرر الخاص أن من دعاهم "منظمي المشاريع الثقافية" قادرون على وقف النزاعات لأن لهم فهماً عميقاً لأهمية إظهار ما عاناه الضحايا للملأ(١٦).

رابعاً- إسهامات وتحديات بعينها

٢٥- تُسهم النهج الإبداعية في مجال الثقافة بطرق عديدة في إنشاء وتطوير وإدامة مجتمعات آمنة وشاملة للجميع يمكن فيها إعمال جميع حقوق الإنسان أكثر فأكثر. ويرد أدناه تحليل لبعض هذه الإسهامات. ومع ذلك، تلاحظ المقررة الخاصة أن الحاجة تدعو إلى مزيد من البحث والمناقشة للخروج بصورة أكمل عن أفضل الممارسات في هذه المجالات، وزيادة الوعي بالطريقة التي تمكن هذا العمل من تعزيز التمتع بحقوق الإنسان عموماً، وبالحقوق الثقافية خاصة.

ألف- احتضان التنوع الثقافي

٢٦- يرمي العديد من النهج الفنية والثقافية إلى تعزيز وتجسيد القيم المرتبطة بالتعددية واحترام حقوق الإنسان والتنوع الثقافي؛ وهذه النهج عنصر إدماج في المجتمع إذ تهيئ فرص التلاقي والحوار عبر الانقسامات المرتبطة بنوع الجنس والانتماء الاجتماعي والإثني والديني وبالسن وغيرها من الانقسامات؛ وهي فضاءات لتجاوز الخوف من "الآخر" المجهول، والاعتراف بالقواسم المشتركة والمساواة والكرامة الإنسانية.

(١٤) الوثيقة نفسها، الفقرتان ١٩ و٢٥.

(١٥) انظر الوثيقة A/HRC/25/49، الفقرتان ١٣ و١٤.

(١٦) انظر الوثيقة A/HRC/28/36، الفقرات ٢٤-٢٧.

٢٧- ولأن التعبير الفني والثقافي يحمل حتماً معانيَ متعددة ويتيح تأويلات متعددة، فهو يغذي القدرة على قبول الغموض واحتضان المفارقات، والتفكير في حلول إبداعية للمشاكل، والاستعداد لمراعاة حساسيات الآخرين الإدراكية. وتسهم هذه المبادرات في تعزيز ثقافة حقوق الإنسان، وتتيح فرصاً لممارسة الحقوق الثقافية وتدعيمها.

٢٨- وتأخذ المبادرات الثقافية لتعزيز قواعد حرية التعبير وحيوية الثقافة أشكالاً عديدة مختلفة. فشبكة Arterial Network مثلاً، وهي شبكة دينامية للمجتمعات المدنية في عموم أفريقيا تجمع فنانين، وناشطين ثقافيين، وأصحاب مشاريع، ومشاريع، ومنظمات غير حكومية، ومؤسسات، وجهات مانحة، تنشط في قطاعي الإبداع والثقافة في أفريقيا. وتهدف الشبكة إلى تيسير إقامة شراكات داخل المجتمع المدني تتجاوز الحدود الوطنية، وبين الشركاء الأفريقيين والدوليين بغرض إيجاد قطاع إبداعي مستدام بطريقة تسهم في تحقيق التنمية وإعمال حقوق الإنسان والديمقراطية والقضاء على الفقر في القارة الأفريقية. وترصد الشبكة أيضاً حرية التعبير الفني. ويرمي مشروعها Artwatch Africa إلى تقييم حقوق التعبير الإبداعي للفنانين والعاملين في المجال الثقافي في أفريقيا وتعزيزها والدفاع عنها. وتنشر الشبكة أيضاً العديد من الموارد العملية لفائدة العاملين في هذا المجال، بما في ذلك نموذجاً لدعم الجهات الفاعلة في الحكومة والمجتمع المدني في وضع سياسات ثقافية تراعي السياق العام[١٧].

٢٩- ومن بين المبادرات الأخرى ذات الصلة التي تدعو إلى سياسات ثقافية شاملة للجميع تحترم حقوق الإنسان العالمية، يمكن الإشارة إلى شبكة العمل الشعبية التي "يديرها الناس"، المعروفة باسم إدارة الولايات المتحدة للفنون والثقافة. فقد أطلقت منصة *(Standing for Cultural Democracy: the USDAC's Policy and Action Platform)* [*دعم الديمقراطية الثقافية: منصة سياسة وعمل إدارة الولايات المتحدة للفنون والثقافة*] التي تستشهد بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان وتدعو إلى الاستثمار في القطاع الثقافي، بالتركيز على دعم الفنانين والعاملين في المجال الثقافي الذين يلبون احتياجات الجمهور، وعلى وضع برامج ثقافية لمواجهة الانتهاكات البنيوية لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية[١٨].

٣٠- ومن شأن المبادرات الثقافية والفنية أيضاً الدعوة إلى قيم التنوع والعلمانية والإدماج والتسامح والمساواة بين الجنسين وحقوق الإنسان والسلام اعتماداً على المواضيع التي تختار معالجتها. ويعرض مسرح أجوكا (Ajoka Theatre)[١٩]، وهو فرقة مقرها لاهور، مسرحيات حيوية ذات مغزى اجتماعي وذات جمالية فنية تعالج قضايا اجتماعية، بما فيها العنف القائم على نوع الجنس والأصولية والإرهاب، وتجسد من ثم رؤيتها لمجتمع أكثر علمانية وإنسانية وعدلاً في باكستان. وينتمي أعضاء هذه الفرقة المسرحية إلى خلفيات طبقية واجتماعية متنوعة، وهي تقيم علاقات وثيقة مع منظمات نسائية وفرق مسرحية دولية مثل "مسرح بلا حدود". ويقدم مسرح أجوكا عروضه في المسارح وفي الشارع وفي أماكن عامة بغرض تعزيز التفكير النقدي. وبالإضافة إلى ذلك، يتيح المسرح نفسه حلقات عمل تدريبية وتقنية، ويدعم التعاون بين الفرق المسرحية في الهند وباكستان.

(١٧) انظر: www.arterialnetwork.org/artwatch.

(١٨) انظر: https://usdac.us/platform.

(١٩) انظر الموقع: www.ajoka.org.pk.

٣١- وثمة مثال هام آخر هو جمعية الأديبات الحرائر (Free Women Writers)، وهي منظمة تطوعية غير ربحية وغير حزبية، تدافع عن حقوق المرأة، وتتألف من أديبات وطالبات وناشطات في أفغانستان وفي الشتات. وتتمثل مهمة هذه الجمعية في تحسين حياة المرأة الأفغانية عن طريق أنشطة الدعوة ورواية القصص والتعليم. ومن الأمثلة على عمل الجمعية نشرها مؤلَّف "بنات ربيعة"، وهي مجموعة كتابات من تأليف نساء أفغانيات فيها دفاع عن حقوق الإنسان؛ وقد وزعت على المدارس والجامعات والمكتبات والجمهور في ست مقاطعات في أفغانستان، واطلع عليها آلاف الأشخاص في شبكة الإنترنت. وكتب الجمعية متاحة باللغات المحلية بالمجان، وتباع نسخ منها باللغة الإنكليزية. وتُستخدم عائدات هذه الكتب لإتاحة فرص للتعليم بتوفير منح دراسية، وتيسير الحصول على "الكتب التي تشحذ الوعي"[٢٠].

٣٢- ويتعين على الحكومات والكيانات الحكومية الدولية توفير دعم قوي للحق في المشاركة في الحياة الثقافية وحرية التعبير لكي تنجح هذه الأنواع من الإجراءات. ويستتبع هذا الأمر قبول أن بعض هذه الأعمال الفنية والثقافية ستنتقد لا محالة الحكومة والمجتمع، وأحياناً بعض جوانب الممارسات الثقافية والدينية، ويقتضي إحجام الحكومة عن محاولة التحكم فيها أو إخضاعها للرقابة أو توجيهها. ويجب على الدول أيضاً احترام وضمان حقوق الإنسان للفنانين وممارسي الثقافة العاملين في هذه المجالات.

باء- تجاوز المخاوف والأحكام المسبقة

٣٣- من شأن الأعمال الثقافية أن تقلل من المخاوف القائمة بين الناس على طول خطوط الانقسام، وتنشئ فضاءات تمكن الناس من تجاوز القوالب النمطية التي يحملون عن الآخر، وتيسر لهم التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم بطريقة لا تهدد الآخر.

٣٤- وإبراز ما يوحد مختلف الأشخاص على الرغم من تنوعهم إسهامٌ هامٌ يمكن أن يقدمه الفن والمبادرات الثقافية في سياقات متنوعة. فعلى سبيل المثال، تتيح منظمة القافلة (Caravan)، وهي منظمة دولية لفنون بناء السلام بين الثقافات والأديان، للناس فرصاً للعمل معاً بغرض إعداد وتنظيم وإدارة واستضافة المعارض والمهرجانات والمحاضرات والحفلات الموسيقية وأنشطة التبادل والتعاون. ويتمثل أحد مشاريعها في "الجسر" ("THE BRIDGE")، وهو معرض متنقل يعرض أعمال ٤٧ من أشهر الفنانين العرب والفارسيين واليهود المعاصرين من ١٥ بلداً، وهي أعمال تستكشف موضوع القواسم المشتركة بين عقائدهم وثقافاتهم، ومن ثم ما يمد "الجسور" بينهم. وقد عُرضت هذه الأعمال في أماكن مختلفة في أوروبا ومصر والولايات المتحدة[٢١].

٣٥- وثمة مثال آخر هو مؤسسة بارنبويم - سعيد التي أنشأها المفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد والمايسترو وعازف البيانو الإسرائيلي- الأرجنتيني دانييل بارنبويم في عام ٢٠٠٣. وترمي هذه المؤسسة إلى جعل تعلم الموسيقى الكلاسيكية في متناول الأطفال والبالغين الشباب الفلسطينيين، بغض النظر عن انتمائهم الاجتماعي أو الاقتصادي[٢٢]. وأنشأ بارنبويم وسعيد

(٢٠) انظر: Freewomenwriters.org.

(٢١) انظر: www.oncaravan.org.

(٢٢) انظر www.barenboim-said.ps.

بالمثل أوركسترا الديوان الغربي الشرقي لجمع موسيقيين إسرائيليين وفلسطينيين وغيرهم من الموسيقيين العرب "للاجتماع والحديث وعزف الموسيقى جنباً إلى جنب"[٢٣].

٣٦- وتتحمل الحكومات مسؤولية الحفاظ على الفضاءات والمؤسسات القائمة بغرض ممارسة الحقوق الثقافية، فضلاً عن إنشاء الجديد منها، ودعم أصوات التسامح والمساواة والتنوع بغية تعزيز حقوق الإنسان العالمية والسلام العالمي[٢٤].

جيم- تعزيز القدرة على التكيف

٣٧- يبحث كل مجتمع عند مواجهة العنف والاضطهاد والمشقة بأشكالها المختلفة عن سبل إعطاء معنى لتجاربه، وتعزيز قدرته على التكيف، والحزن على خسائره، والمضي قدماً. وهذا الأمر صحيح بصفة خاصة في أعقاب انتهاء النزاع. وتتيح المبادرات الفنية والثقافية أدوات تساعد على فهم المعاناة، ووسائل التعبير للأفراد والجماعات والمجتمعات بأكملها؛ ومن ثم، فمن شأنها أن تساعد على زيادة القدرة على التعافي من انتهاكات حقوق الإنسان.

١- الحزن على الخسائر

٣٨- يشير جوزيف مونتفيل إلى أن "العمل النفسي المتمثل في تجاوز الحزن غالباً ما يكون مطلوباً قبل أن يتمكن الضحايا من النظر إلى المستقبل عوض محاولة استرجاع خسائر الماضي"[٢٥]. وإذا لم يستطع الأفراد أو الجماعات تجاوز أحزانهم، فإن احترامهم لأنفسهم يتشابك وذكريات خسائرهم. وإذا ما تولد عن ظروف خسائرهم هذه غضب شديد، فقد يتداخل سخطهم مع قدرتهم على تجاوز أحزانهم، ما يؤدي بدوره إلى المزيد من العنف وانتهاكات حقوق الإنسان. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الخسائر التي لم يتجاوز أصحابها أحزانهم عليها قد تنتقل إلى الأجيال المقبلة، ما يفضي إلى توارث الصدمات النفسية[٢٦].

٣٩- ومقاومة الذكريات والأحزان أمر طبيعي؛ فذكريات الصدمات يمكن أن تحطم أصحابها بطرق شتى، سواء تعلق الأمر بالضحايا أو بالناجين أو بالذين ارتكبوا الانتهاكات أنفسهم. ويتمثل التحدي في إيجاد سبل للاستعانة بالذكريات في تضميد الجراح بدلاً من مفاقمة الصدمات النفسية، ولجعل الأحزان تتجاوز ثنائيات الضحية والجلاد. وفهم المرء معاناة جماعته - والحزن على خسائرها - خطوة حاسمة أيضاً على طريق تحقيق المصالحة.

٤٠- وتتضمن عمليات تخليد الذكرى مجموعة متنوعة من الالتزامات التي لا تتجسد بالضرورة في إنشاء نصب تذكارية فحسب، بل قد تأخذ أيضاً شكل أنشطة وتعابير ثقافية

---

(٢٣) G. Bedell, "Daniel's codes of conduct" *Guardian* 17 August 2003.

(٢٤) خطة عمل الرباط، الفقرتان ٢٣ و٢٥.

(٢٥) J. Montville, "Psychoanalytic enlightenment and the greening of diplomacy", *Journal of the American Psychoanalytic Association*, vol. 37, No. 2 (1989), p. 305.

(٢٦) D. Bar-On, "Attempting to overcome the intergenerational transmission of trauma: dialogue between descendants of victims and of perpetrators", in R.J. Apfel and B. Simon, eds., *Minefields in their Hearts: The Mental Health of Children in War and Communal Violence* (New Haven, Yale University Press, 1996).

عديدة. ويستطيع الفنانون تسليط ضوء جديد على الماضي، وتعزيز قدرة الناس على تصور الآخر، وتوسيع النقاش بشأن معنى النصب التذكارية. فقد أسهم الفنانون في التفاوض على المعاني المنسوبة إلى أحداث تخلَّد ذكراها، وتحدوا في بعض الحالات السلطات الحكومية أو شككوا في معايير "دعواتها" إلى تخليد ذكراها. وقد فتحت هذه الأنشطة فضاءات تدور فيها مناقشات هامة اعتُبرت في حد ذاتها تخليداً للذكريات[٢٧].

٢- مقاومة الاضطهاد والإرهاب

٤١- يقف الفنانون، فرادى ومجموعات، والمؤسسات الثقافية في العديد من المناطق في الواجهة لمقاومة الاضطهاد، والتمسك بقيم التنوع وحقوق الإنسان والإدماج في سياقات صعبة.

٤٢- ومن الأمثلة البارزة على ذلك مسرح بيلاروس الحر، وهو فرقة مسرحية دولية تعمل في الخفاء في بيلاروس، ويديرها مخرجون فنيون في المنفى في المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وآيرلندا الشمالية اضطروا إلى الفرار بعد اعتقالهم عدة مرات، بما في ذلك اعتقال أعضاء الفرقة وجمهورها بالكامل في إحدى المرات[٢٨]. وتستخدم الفرقة قوة الفن لإلهام الناس للعمل على الدفاع عن حقوق الإنسان، وإحداث تغيير نظمي. ومن الأمثلة على نوع الاضطهاد الذي يواجهه أحياناً الأشخاص الذين يشاركون في هذا العمل، تشير التقارير إلى أن الشرطة اعتقلت مرات عديدة أعضاء هذا المسرح أو ضربتهم ووضعتهم على القائمة السوداء، ما يعني أنهم لا يستطيعون العمل في المؤسسات الفنية الرسمية.

٤٣- ويستطيع الفنانون أداء دور ريادي في الرد على النزاعات العنيفة والتشريد باعتبارهم متحدثين، ومنظمين (بناء الثقة بين اللاجئين والمجتمعات المضيفة لهم)، وميسرين (دعم الفئات الضعيفة والمهمشة)، ومراسلين (رواية قصصهم الخاصة). ومعرض "سوريا: الفضاء الثالث"[٢٩] معرض أبرزَ أعمال فنانين سوريين نازحين احتضنوا هذا الدور. ويشير غراهام شيفيلد من المجلس الثقافي البريطاني، الذي قدم منحاً صغيرة للعديد من هؤلاء الفنانين إلى أن "للثقافة أهمية في التماسك الاجتماعي والقدرة على التكيف، وتحقيق التنمية الاقتصادية واستدامتها، والحوار من أجل التفاهم".

٤٤- وتستطيع الأنشطة الثقافية أيضاً مساعدة الناس على استعادة الفضاءات العامة، والمجاهرة بآرائهم بعد حدوث أعمال العنف. فعقب هجوم تنظيم الدولة الإسلامية الإرهابي على محطة للحافلات في جاكرتا بإندونيسيا، أقام فنانون إندونيسيون، بالتعاون مع منصة Microgalleries الأسترالية، ثمانية أعمال فنية على نطاق واسع لنشر رسالة مفادها أن جاكرتا تقف متحدةً ضد أعمال الإرهاب[٣٠]. ونُظم نشاط مماثل في سري لانكا، حيث رُسمت في مواقع التفجيرات الانتحارية لوحات جدارية زاهية تطالب كل منها المجتمع "بضمان حرمة الحياة"[٣١].

---

(٢٧) انظر الوثيقة A/HRC/25/49، الفقرات ٦٦-٦٩.

(٢٨) انظر: www.belarusfreetheatre.com.

(٢٩) انظر: www.britishcouncil.org/arts/syria-third-space/.

(٣٠) انظر: http://microgalleries.org/events/reclaim-jakarta; and R. Perez-Solero, “Jakarta street art aims to eliminate fear of religious extremism”, Agencia EFE (Spain), English edition, 11 July 2017.

(٣١) “Fighting terror with paint brushes”, *Frontline World*, May 2002.

دال- إعادة بناء الثقة وتعزيز المصالحة

٤٥- ترمي عمليات المصالحة إلى إعادة الثقة والموثوقية وتعزيزهما في أعقاب العنف أو الاستغلال أو كليهما. ويعترف المقرر الخاص المعني بتعزيز الحقيقة والعدالة والجبر وضمانات عدم التكرار بأن الثقة "هي أساس تطوير ثقافة سيادة القانون، وهي تهيئ بيئة صالحة لتعزيز المصالحة وتستوفي شرطاً مسبقاً ضرورياً لحدوث اتصالات فعالة بين الضحايا والسلطات وفي داخل المجتمع"[٣٢]. ومع ذلك، يصر المقرر الخاص أن تعزيز ثقافة الحوار، وزيادة المشاركة الوجدانية وإبراز والأمور، ومعالجة الصدمات، يتطلب اتخاذ إجراءات في مجالات التعليم والفنون والثقافة[٣٣].

٤٦- وتشدد المصالحة في أفضل الأحوال على التغيير على مستوى الأفراد والجماعات، سواء كانوا ضحايا أو جناة، والعمل بالعاطفة والخيال والإبداع، جنباً إلى جنب مع القدرات المعرفية والتحليلية بغرض استعادة العلاقة مع النفس أولاً، ومن ثم بناء العلاقات مع الآخر وإعادة بنائها من أجل مستقبل أفضل.

٤٧- ويتعين وضع أنشطة دقيقة تتضمن إجراءات المصالحة، ومراحل تنفيذها حسب كل سياق، ومراعاة طبيعة الاستلاب أو العنف، ومسار أي نزاع ومرحلته، والموارد القيادية المتاحة، والنظم الواسعة التي تحدث في إطارها النزاعات وعمليات بناء السلام.

١- إعادة أنسنة الذات والآخر

٤٨- ترتبط النزاعات العنيفة بين الجماعات وانتهاكات حقوق الإنسان في الغالب الأعم بتجريد الأعداء، بعضهم البعض، من إنسانيتهم. ويتعلم الأطفال في هذه السياقات خلع المشاعر الإيجابية على رموز جماعاتهم، والمشاعر السلبية على رموز جماعات أعدائهم[٣٤]. وتتحمل الدول مسؤولية كبيرة للتأكد من أن نظمها التعليمية لا تغذي عداوات تعيد النظر في عالمية كرامة الإنسان، بل تعمل بنشاط على التصدي لهذه الافتراضات، وتعزز ثقافة حقوق الإنسان والتسامح واحترام التنوع.

٤٩- وتنطوي إعادة تقييم المرء إنسانية عدوه على الاعتراف بالتعقيدات الكامنة في الجماعة التي ينتمي إليها هو نفسه. وفي سياقي الرق والاضطهاد الذي يطول أمده، تصبح خطابات الهوية بوجه عام منفردة وضحلة، وتُصاغ خدمة لسرديات جماعية تُبرر ادعاءات أصحابها، وينشب جراءها الصراع، ويُمارس الاضطهاد. وكثيراً ما يفقد الضحايا والجناة، والمضطهَدون والمضطهِدون بعضاً من كامل إنسانيتهم. وتمكّن المبادرات الفنية والثقافية الناس من تجاوز هوياتهم الفردية، وتعزز الهويات التي توحد ولا تفرق.

٥٠- ففي بوروندي، نشأت فرق طبول للفتيان تمثل كل المجموعات الإثنية الموجودة قبل اندلاع العنف الإثني في تسعينات القرن الماضي. وكان المشاركون فيها قد بنوا مجموعاتهم حول

(٣٢) انظر الوثيقة A/HRC/30/42، الفقرة ٩٩.

(٣٣) الوثيقة نفسها، الفقرة ٣٢.

(٣٤) V. Volkan, "An overview of psychological concepts pertinent to interethnic and/or international relationships", in *The Psychodynamics of International Relationships*, vol. I, *Concepts and Theories*, V. Volkan, D.A. Julius and J.V. Montville, eds. (Lexington Books, 1990).

ممارسة مشتركة واختبروا قيم الثقة والتضامن بين الجماعات الإثنية، واختاروا تأكيد هويتهم ضاربي طبولٍ أكثر من أصلهم الإثني. وفي الفترة بين آذار/مارس ١٩٩٤ وآذار/مارس ١٩٩٨، واصل الطبالون المشاركة في أداء عروض في مختلف الأحياء، ودعموا بعضهم البعض، وأنقذوا أرواح بعضهم البعض في مناسبات عديدة[٣٥]. وعملت منظمة "البحث عن أرضية مشتركة" (Search for Common Ground)، وهي منظمة غير حكومية تسعى لبناء السلام، على نفس المنوال حتى نهاية تسعينات القرن الماضي للتصدي للقوالب النمطية التي تجرد الآخر من إنسانيته، والتي تركت ندوبا في علاقات شعوب الهوتو والتوتسي والتوا[٣٦]. وأتاح هؤلاء، بواسطة الموسيقا والرقص وضرب الطبول وإنتاج البرامج الإذاعية فضاءات سمحت بالاعتراف بإنسانية الآخر وأسهمت في تكوين فهم جديد عن النزاع من حيث أنه صراع على السلطة وليس صراعاً إثنياً.

٢- الإصغاء للروايات وسردها ومشاركة الآخر معاناته

٥١- لاحظت المكلفة السابقة بالولاية في مجال الحقوق الثقافية الدور الذي تؤديه الروايات التاريخية في تشكيل الهويات الجماعية. وأشارت إلى أن التعبير عن الذات بالإبداع الفني أمر لا غنى عنه لإبراز معاناة الضحايا[٣٧]. ثم إن القدرة على بلورة التجارب في شكل سردي أحد السبل الهامة التي تسمح بفهم الضحايا معنى الأحداث المؤلمة والصادمة مثل انتهاكات حقوق الإنسان واستعادة بعض من قدراتهم بفضل ذلك. ومع ذلك، من شأن العنف أن يجرد الناس من قدرتهم على تأليف رواياتهم وسردها، ومن قدرتهم على الإصغاء لروايات الآخرين وتقبلها.

٥٢- ومن شأن الفنانين والعاملين في المجال الثقافي أن يصبحوا آذان صاغية، ويساعدوا الناس الذين كانوا خصوما بالأمس على سرد رواياتهم بطرق تجعل "الآخرين" يصغون إليها، ويطرحون أسئلة عن الصفح، بما في ذلك الصفح عن أنفسهم. ويفتح تخفيف وطأة رواية أحادية بعينها (وصف أحد الطرفين بالضحية، مثلاً) الباب على روايات لها أكثر من معنى، ولها فهم أفضل لتعقيدات التاريخ.

٥٣- وقد أظهر مشروع أُنجز في الآونة الأخيرة في مقاطعة كيب الغربية بجنوب أفريقيا بوضوح الإمكانات التي يتيحها تبادل الروايات لإعادة العلاقات عبر الانقسامات الاقتصادية والعرقية. فقد أراد مارك سولمس، وهو مزارع أبيض جنوب أفريقي، إشراك الأشخاص الذين يعيشون على الأرض التي ورثها حديثا في التخطيط لإعادة تنظيم مزرعة النبيذ التي يملكها، وكان عليه أولاً إيجاد طريقة لفتح حوار محترم. وبمساعدة مؤرخين وعلماء آثار، قام العمال وسولمس، فعلاً ومجازاً، بنش أرض مزرعته ومعها تاريخ الرق والفصل العنصري الذي ربط بين أسرهم، وأنشأوا مشروعاً للتراث والتاريخ الشفهي تبادل الجميع ضمنه رواياتهم وذكرياتهم وأصغوا بعضهم إلى بعض. وقد سمحت لهم هذه العملية ببناء ما يكفي من الثقة للدخول في علاقة اقتصادية جديدة: فأتاح رهن ملكية مزرعة السيد سولمس الائتمان اللازم لشراء العمال مزرعة متاخمة

---

(٣٥) Slachmuijlder, "The rhythm of reconciliation: a reflection on drumming as a contribution to reconciliation processes in Rwanda, Burundi, and South Africa", *Recasting Reconciliation through Culture and the Arts,* Brandeis University Programme in Peacebuilding and the Arts, 2004.

(٣٦) انظر: www.sfcg.org.

(٣٧) انظر الوثيقة A/HRC/28/36، الفقرتان ٩-١٠.

ضمن ائتلاف تجاري مع مزرعة سولمس. ومع نمو الدخل، تحسنت أحوال العمال السكنية، وتزايدت فرص تعليم أولادهم[٣٨]. وأتاحت المبادرات الثقافية للجميع فرصة للتصالح مع تاريخ الاستغلال، وأسهمت في استعادتهم كرامتهم.

٥٤- ويفتح الإصغاء إلى الروايات وسردها الطريق لاستيعاب معاناة الآخر العدو، وهذه خطوة هامة أخرى صوب المصالحة. ويتضمن هذا الأمر كذلك "القدرة على إدراك معاناة الآخرين البدنية والمادية والنفسية، والإحساس 'بما يحس به الآخر'"[٣٩].

٥٥- وتكاد القدرة على المشاركة الوجدانية تتلاشى في أثناء النزاعات العنيفة وفي أعقابها، على جانبي الجناة والضحايا على السواء. ومن الأمثلة على المبادرات الثقافية التي انبرت لهذه المهمة الصعبة، مهمة التعاطي مع هذه المسائل، مثال مسرحية *"النيران الخفية" (Hidden Fires)*[٤٠]. ويعرض الممثلون في هذه المسرحية روايات المسلمين ضحايا العنف الطائفي المروع الذي اندلع في عام ٢٠٠٢ في ولاية غوجارات بالهند؛ ويعرض الممثلون أنفسهم روايات مثيري الشغب الهندوس يصفون خلالها أعمالهم الوحشية. ومن خلال هذه الأدوار المسرحية، يُطلب إلى الجمهور إقرار ألوان الأذى التي ارتُكبت، ويُشار إلى دور الحكومة ووسائط الإعلام والشرطة في تهيئة الظروف التي أفضت إلى الفظائع، وإلى المشاركة الوجدانية في كل المعاناة التي حدثت. وعلى الرغم من أن استيعابا أفضل لآثار الانتهاكات السابقة لا يمنح أي ضمانات، فإنه يسهم في تقليص احتمال وقوع انتهاكات لحقوق الإنسان مرة أخرى.

٣- الاعتراف بالظلم والتصدي له

٥٦- لا ينبغي لعمليات المصالحة التي تسعى إلى إعادة علاقات الثقة وإدامتها أن تتجاهل مسألتي المسؤولية والمساءلة. فعمليات المصالحة هذه يمكن أن تتضمن إجراءات قضائية تركز على محاكمة الجناة ومعاقبتهم. ومع ذلك، فهي تشدد في كثير من الأحيان على العدالة التعويضية والتاريخية والرمزية والتصالحية التي تشجع الأفراد والجماعات على الاعتراف بما ارتكبوا من أضرار وعلى تحمل مسؤوليتها، وإعادة العمل بالأطر الثقافية والقانونية والأخلاقية المتفق عليها أو وضعها بغرض الانتقال إلى المستقبل.

٥٧- ومن خلال عمليات قول الحقيقة والاعتراف وتخليد الذكرى والعمل الفني، يبدأ الناس والمجتمعات في إعادة الكرامة لمن انتُهكت حقوقهم، والإسهام في الإحساس بإقامة العدل عموماً. ويمكنهم أيضاً تفادي استمرار الاعتداء على كرامة الضحايا الذين لم يُعترف بمعاناتهم بعد، ولا تزال الأعمال الوحشية التي تعرضوا لها مخفية. وينطوي هذا العمل أحياناً على بعد رمزي مثلما هو الحال عندما يعترف الجاني بمسؤوليته فيحتسي جرعة شاي مُرٍّ في قرع كما هي

---

(٣٨) M. Solms, "Land ownership in South Africa: turningeuropsychoanalysis into wine", TEDxObserver Talks, 1 April 2011, available on YouTube.

(٣٩) T. Nhat Hahn, *Peace is Every Step: The Path of Mindfulness in Everyday Life* (Bantam, 1992), p. 82.

(٤٠) انظر: www.theaterofwitness.org. وانظر أيضاً: R. Margraff, "Hidden Fires: Peaceworks' invocation as Žižekian response to the Gujarat massacres of 2002", in C. Cohen, R. Varea and P. Walker, eds. *Acting Together: Performance and the Creative Transformation of Conflilct*, vol. I, *Resistance and Reconciliation in Regions of Violence* (New Village Press, 2011).

العادة عند شعب أروشا في جمهورية تنزانيا المتحدة[٤١]. ويمكن أيضاً تصميم أنشطة فنية وثقافية لدعم الجناة وتحديهم، ومساعدة الآخرين على الاعتراف بالأضرار التي ارتُكبت باسمهم، واتخاذ الإجراءات اللازمة لتفادي تكرار هذا العنف.

٥٨- وتمثيلاً على ذلك، عالج احتفالات رسميان على المستوى الوطني في أستراليا في عام ٢٠٠٨ جوانب الانقسام بين أحفاد المستوطنين والشعوب الأصلية. وتضمنت الاحتفالات حفل "مرحبا بكم في البلد" قدمه السكان الأصليون بمناسبة افتتاح البرلمان، وتقديم رئيس الوزراء اعتذاراً علنياً على السياسات الحكومية التي أسفرت عن معاناة شديدة وعن تدمير الشعوب الأصلية وثقافاتها. وعاين مئات الآلاف هذا الاعتذار في جميع أنحاء البلد. وأتاحت هذه الاحتفالات إشراكاً رمزياً للسكان الأصليين ولمن قضى نحبه من الأجيال المسروقة في الوصاية على الأراضي، ويسَّرت نوعاً من العدالة التصالحية[٤٢]. ومع ذلك، يجب الاعتراف بأن لهذه الإجراءات حدوداً لأنها على ما يقال لم تغير بعض الجوانب الأساسية الأخرى للسياسة المتبعة تجاه حقوق الشعوب الأصلية، وبأن متابعة هذه الإجراءات أمر ضروري وعاجل.

٥٩- ويجب على الدول النظر في نوع الفضاءات العامة التي ينبغي إتاحتها لاستحضار ذكرى الانتهاكات السابقة لحقوق الإنسان، والسماح بسماع مختلف الآراء، بسبل منها التعبير الفني والثقافي. وينبغي أن تسترشد جميع القرارات في هذا المجال بمعايير حقوق الإنسان ومبادئها، بما في ذلك في مجال الحقوق الثقافية، بغية ضمان مصداقية هذه العملية باعتبارها أساساً لمجتمعات أكثر شمولاً وأمناً وعدالة.

٤- تصور مستقبلات جديدة وتجسيدها

٦٠- يتضمن مفهوم المصالحة افتراض أنه في مرحلة ما من عملية بناء الثقة سيجتمع الخصوم السابقون ويتصورون مستقبلات جديدة وسيعملون على تجسيدها. ويستدعي هذا الأمر التفكير في بدائل مقبولة ووضع خرائط طريق لمسارات واقعية تفضي إلى حلول[٤٣]. ومن شأن وضع هذه البدائل أو تجسيدها، من خلال طقوس وأعمال فنية وأداء عروض، التدليل على ما هو ممكن قبل صياغة دساتير جديدة، أو سن قوانين جديدة، أو اعتماد سياسات جديدة بفترة طويلة.

٦١- وفي أواخر القرن العشرين، دُعي عدد من المجموعات الثقافية في ياكيما فالي، بولاية واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن باعد الزمن بينها، إلى القيام بمناسبة الألفية مع الفنان الصيني - الأمريكي وين - تي تسين، المختص بالفنون البصرية، ببناء منشأة بغرض "التفكير في الألف سنة الماضية، وتدبر الألف سنة المقبلة". وتضمنت "ساحة المنحوتات" التي أنشأها المشروع روايات ومظالم وإسهامات تاريخية من مختلف الجماعات الثقافية في المنطقة، واستمر استخدامها مكاناً يجتمع فيه كافة الناس.

---

(٤١) انظر: H.P. Gulliver, *Disputes and Negotiations: A Cross-Cultural Perspective* (New York, Academic Press, 1979).

(٤٢) انظر: P. Walker, "Creating a new story: ritual, ceremony and conflict transformation between indigenous and settler peoples", in *Acting Together*.

(٤٣) C. Mitchell, "Conflict, change and conflict resolution", in B. Austin, M. Fischer and H. Giessmann, eds., *Advancing Conflict Transformation: The Berghof Handbook II* (Budrich, 2011), p. 19.

٦٢- وعندما تتقوض الثقة بين الأفراد والجماعات، وفي قدرة المجتمع على حماية حقوق الإنسان وسيادة القانون، بسبب العنف والاضطهاد، تصبح عمليات إعادة بناء الثقة معقدة ومتعددة الأوجه. وقد تستغرق سنوات وأحياناً عقوداً أو قروناً. وتتيح العمليات والأشكال الإبداعية والفنية والثقافية – مثل الموسيقى والرقص والمسرح والأدب والفنون البصرية والتصميم الحضري والطقوس – فرصاً لممارسة الحقوق الثقافية وسيلةً للتصدي للانتهاكات السابقة لحقوق الإنسان، وتيسير القدرات اللازمة لكي تعود علاقات الثقة والموثوقية إلى الظهور من جديد.

خامساً- استعراض المسائل الرئيسية

٦٣- ينبغي الاعتراف بجميع المشاركين في الإجراءات المتخذة في مجال الثقافة، بمن فيهم الفنانون والعاملون في المجال الثقافي وغيرهم من أصحاب المصلحة مثل المؤسسات والسكان المحليين، وينبغي إضفاء الشرعية عليهم بغرض الإسهام في إيجاد مجتمعات آمنة وشاملة للجميع يمكن فيها إعمال حقوق الإنسان كافة. ويجب أيضاً أن تتاح لهم الظروف اللازمة لممارسة حقهم في المشاركة والإسهام، من خلال الإجراءات في مجال الثقافة، في تشكيل المجتمعات التي يعيشون فيها. ومن الضروري أن تحترم الدول وتضمن حقوق الإنسان الخاصة بهم، بما فيها حقوقهم الثقافية.

ألف- الاعتراف بأدوار أصحاب المصلحة الرئيسيين

٦٤- يواجه الفنانون والعاملون في المجال الثقافي، وهم يمارسون حقوقهم الثقافية، الكثير من التحديات في سعيهم إلى التصدي للتحديات الاجتماعية المرتبطة بالتمييز والإقصاء وانتهاكات حقوق الإنسان والعنف. ويرتبط أحد هذه التحديات بمخاطر تسييسهم أو اعتبارهم منحازين إلى أحد أطراف النزاع. وهذا صحيح بصفة خاصة عندما تموِّل المبادراتِ وكالاتٌ عامة. فقد تمكن الفنانون والعاملون في المجال الثقافي في بعض الحالات من زيادة مصداقيتهم، وتعزيز مشروعية عملهم، وحماية أنفسهم من الاستغلال ببناء أسس عملهم على الحقوق الثقافية وقواعد ومعايير حقوق الإنسان.

٦٥- وفي أعقاب النزاعات العنيفة، وفي المجتمعات التي انقسمت انقساماً عميقاً، وفي المجتمعات التي تحكمها أنظمة قمعية أو أصولية أو كلاهما، أو حيث تنتشر كيانات أصولية ومتطرفة من غير الدول، يواجه الفنانون والعاملون في المجال الثقافي وجميع المشاركين في أنشطتهم خطر التعرض للأذى بسبب ظهورهم للعيان، والاهتمام الذي تثيره الفنون والمشاريع الثقافية. فالفنانون يواجهون خطر النفي والسجن والتعذيب والاغتيال؛ وتواجه المؤسسات الناجحة والمعروفة خطر هجمات المتطرفين(٤٤). وينبغي للفنانين أن يقيموا بدقة تأثير المخاطر في اختيار أماكن فعالياتهم والترتيبات الأمنية لا للمنظمين أنفسهم فحسب، بل أيضاً للمشاركين الذين قد يُضطرون للسفر عبر مناطق غير آمنة. وبعض الفنانين والعاملين في المجال الثقافي ممن يشاركون

(٤٤) من الأمثلة الحديثة على الهجمات التي تُشن على الفنانين العاملين في هذا المجال وجمهورهم والمؤسسات الثقافية التي تستضيفهم ما شهدته مدينة بانغي في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٧ عندما قُتل ٧ أشخاص وأصيب ٢٠ بجروح، بمن فيهم ٦ موسيقيين بعد أن ألقى أشخاص يركبون دراجات نارية قنابل يدوية على مقهى كان يحتضن حفلاً موسيقياً عن السلام والمصالحة. انظر: Freemuse, "Central African Republic: seven killed, 20 injured after concert attack", 16 November 2017.

في هذه المساعي يتصرفون بوصفهم مدافعين عن حقوق الإنسان ويعتبرون أنفسهم كذلك؛ ومن ثم، يتعين حماية جهودهم بالكامل تمشياً مع الإعلان المتعلق بحق ومسؤولية الأفراد والجماعات وهيئات المجتمع في تعزيز وحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية المعترف بها عالمياً (الإعلان المتعلق بالمدافعين عن حقوق الإنسان).

٦٦- وقد يجد الفنانون والعاملون في المجال الثقافي المزيد من الصعوبات في الإبلاغ بعملهم. ويرجع هذا الأمر جزئياً إلى أن الأساليب والعبارات المستخدمة في سياق ما كثيراً ما يُساء فهمها في سياقات أخرى، وإلى أن تأثير عملهم قد يصعب قياسه باستخدام المؤشرات التقليدية. وغالبا ما يشعر الفنانون والعاملون في المجال الثقافي بالعزلة، ولا تتاح لهم الفرصة للتفكير النقدي الصارم، وتبادل المعارف، وتدبر المعضلات الأخلاقية، وهي جميعها أمور حاسمة للنهوض بممارساتهم الخاصة وبمجال عملهم. ويتفاقم هذا الأمر بسبب عدم وجود نظم ملائمة ومشتركة لتقييم أعمالهم، وإظهار ما يمكنهم تقديمه إلى المجتمع من مساهمات إيجابية[٤٥].

٦٧- ويواجه العديد من الفنانين والعاملين في المجال الثقافي والمنظمات الثقافية – حتى الذين شاركوا في مبادرات فعالة ورائدة ومعترف بها عالمياً – صعوبات هائلة في توليد الموارد المالية اللازمة، لا سيما للالتزامات الطويلة الأجل اللازمة لمعالجة القضايا الحساسة والإسهام في بناء الثقة. وقد يُهددون أيضاً في كسب عيشهم وحقوقهم الاقتصادية وحقهم في الضمان الاجتماعي.

٦٨- وبناء على ذلك، ينبغي للوكالات الدولية والدول والحكومات المحلية وكيانات العدالة الانتقالية، مثل لجان تقصي الحقائق، والمنظمات غير الحكومية والمؤسسات الثقافية الاعتراف بالإسهامات المحتملة للفنانين والعاملين في المجال الثقافي في إنشاء وتطوير وإدامة مجتمعات يمكن فيها إعمال جميع حقوق الإنسان بصفة متزايدة، واتخاذ خطوات لدعم جهودهم، وتهيئة ظروف مواتية لهم لأداء عملهم الإبداعي، بما في ذلك الاحترام الكامل لحقوق الإنسان الخاصة بهم.

باء- ترسيخ وتعظيم الأثر الإيجابي للمبادرات الثقافية الملتزمة اجتماعياً

٦٩- ما هي الظروف التي يمكن فيها للإجراءات في مجالي الفنون والثقافة أن تسهم أكبر مساهمة في ممارسة الحقوق الثقافية وفي إيجاد مجتمعات أكثر شمولاً وأمناً واحتراماً لحقوق الإنسان؟ فيما يلي بعض العوامل المساهمة الهامة التي يتعين النظر فيها.

١- احترام حقوق الإنسان

٧٠- تحقيقاً لهذه المبادرات، يجب احترام وضمان حق كل شخص في حرية التعبير والإبداع الفنيين، وفقاً للمعايير الدولية. وبناء على ذلك، يتعين وضع سياسات عامة تحترم هذا الحق، ومؤسسات نشطة تدعم المشاركة السياسية والثقافية، وفقاً للمعايير الدولية الأساسية. وهذه شروط مسبقة لازمة لتعزيز أفضل الممارسات في هذا المجال. ولا ينبغي التسامح مع ما يتعرض له الأشخاص الذين يعملون في مجالي الفنون والثقافة من انتهاكات حقوق الإنسان، بما في ذلك الحقوق الثقافية، لأسباب تشمل عملهم الملتزم اجتماعياً، ويجب وقفها فوراً. وتكرر المقررة

(٤٥) بُذلت بعض الجهود لجمع بحوث علمية تدل على أثر الأعمال الفنية والثقافية. للاطلاع على أمثلة انظر: culturalcase.org.

الخاصة "الدعوة إلى العمل" بشأن مسألة الهجمات التي تعرض لها الفنانون وأصدرتها مؤخراً السيدة أودري أزولاي، المديرة العامة الجديدة لليونسكو، التي أشارت فيها إلى ارتفاع عدد هذه الهجمات الموثقة من ٩٠ حالة في عام ٢٠١٤ إلى ٣٤٠ حالة في عام ٢٠١٥، ثم إلى ٤٣٠ حالة في عام ٢٠١٦[٤٦].

٧١- وينبغي دعم وزيادة عدد المبادرات من قبيل مبادرة شبكة "فنانون في خطر" (Artists at Risk Connection)، وهي مشروع تعاوني تقوده جمعية القلم الأمريكية (PEN) يسعى إلى زيادة الموارد المتاحة للأدباء والفنانين المعرضين للخطر أو المضطهدين وشحذ الوعي بأحوالهم وإقامة الشبكات[٤٧]. وتؤيد المقررة الخاصة بالمثل اقتراح منظمة فريميوز (Freemuse) الذي يدعو الجهات المانحة الدولية إلى وضع برامج خاصة لدعم الفنانين والقطاعات الثقافية التي يهددها الإرهاب[٤٨].

٧٢- وفيما يتعلق بالبنى التحتية، ينبغي الحفاظ على الفضاءات العامة والمكشوفة مفتوحة لكي تصبح العديد من المبادرات الفنية والثقافية جزءاً من حياة الناس اليومية. ويسهم هذا الأمر في التعليم الفني والثقافي ويعزز تنمية مجموعة من قدرات التعبير وبناء الجسور عبر خطوط الانقسام في المجتمع. وللدول دور محدد في ضمان فتح الفضاءين المؤسسي والعام لمختلف المبادرات الثقافية، بما فيها المبادرات التي يمكن أن تعرب عن آراء نقدية، وإتاحة مزيد من الفرص للناس على اختلاف انتماءاتهم بالتفاعل بعضهم مع بعض في هذين الفضاءين. ويساعد تعزيز المفهوم القائل بأن الفضاء العام "ينبغي أن يكون شاملاً للجميع وقائماً على المساواة ويسترشد بمسائل تتمحور حول الصالح العام" على ضمان فتح نقاش ديمقراطي بين المواطنين[٤٩].

٧٣- وما فتئ أصحاب المصلحة في هذا المجال يدركون مدى توقف فعالية عملهم على التعاون وعلى "بيئة" من الفاعلين المترابطين العاملين على أساس نهج متكاملة. ثم إن خطط التمويل التي تثير التنافس عوض التعاون بين الفاعلين المحليين الذين يلتمسون مصادر التمويل نفسها خطط مضرة. والحاجة إلى تمويل كاف في هذا المجال أمرٌ بالغ الأهمية، إذ يشير الفنانون الملتزمون إلى أن الممولين يتنكرون لهم في بعض الأحيان.

٢- الاعتراف بأهمية المشاركة وتحديد السياق

٧٤- تستطيع الشخصيات اللامع نجمها عالمياً جلب المزيد من الاهتمام والتمويل على المدى القصير، غير أن الالتزام بالأشكال المحلية للتعبير والإنتاج الفني يرسخ استدامتها أكثر، ويعطي مصادرها مرونة أكبر، ويساعد على تعزيز وسائل التعبير المحلية.

---

(٤٦) ترد "الدعوة إلى العمل" في صفحة موقع تويتر @unescoNOW في ١٤ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٧، استشهاداً بتقرير: *Re|Shaping Cultural Policies: Advancing Creativity for Development 2018* (Paris, UNESCO, 2017), p. 29.

(٤٧) انظر: https://artistsatriskconnection.org/. وللاطلاع على مثال آخر جدير بالثناء وعلى روابط إلى شبكات مماثلة، انظر أيضاً: www.icorn.org.

(٤٨) بيان قدمته منظمة فريميوز خلال جلسة التحاور مع المقررة الخاصة في مجال الحقوق الثقافية، المعقودة في أثناء الدورة الرابعة والثلاثين لمجلس حقوق الإنسان، ٣ آذار/مارس ٢٠١٧.

(٤٩) انظر الوثيقة A/HRC/25/49، الفقرة ٧٢.

٧٥- والمشاركة عامل أساسي في أي نهج لحقوق الإنسان، وهي مسألة بالغة الأهمية لضمان ملكية أي عمليات ثقافية تسعى إلى معالجة التحديات التي يواجهها المجتمع المتمثلة في التمييز وانتهاكات حقوق الإنسان والإقصاء والعنف. وتتباين أشكال المشاركة ومستوياتها في المبادرات الفنية والثقافية تبايناً كبيراً. ولا يتوقف أثر العديد من هذه المبادرات عند نهاية العرض: فالجمهور يستمر في تخزين مشاعر يمكن أن تغير تصوره وفي التعبير عنها والإحساس بها. وينبغي من ثم اعتبار حضور الأعمال الفنية والثقافية مع الجمهور وتلقيها ومعاينتها جزءاً هاماً من المشاركة في الحياة الثقافية. وهذا أيضاً جزء أساسي من حرية التعبير الفني.

٣- تشجيع التنوع ومكافحة التمييز على مختلف المستويات

٧٦- يستفيد العديد من المبادرات الناجحة من إدماج مدروس للتنوع: تنوع الفاعلين والتخصصات، وتنوع أعضاء الجماعات المعنية والشركاء المحليين، وتنوع أشكال التعاون بين المؤسسات في مجالات الفنون والثقافة والتعليم والحقيقة والمصالحة وحقوق الإنسان وبناء السلام والتنمية؛ وقد صبت جميع هذه المنظورات المختلفة في هذه العملية ورفعت مستوى كرامة أصحابها. وتستطيع الجهات الخارجية أن تساعد أيضاً الفاعلين المحليين على التوقف والتعلم من مختلف التجارب. ولأن للناس حساسيات مختلفة، فإن ذلك يستدعي بدوره تنوعاً في وسائل التعبير والفضاءات وفرص الاستكشاف واللقاء والحوار من أجل إشراك عدد أكبر من الناس.

٧٧- ويتطلب هذا التنوع العمل بنشاط لمكافحة التمييز في مجال الحقوق الثقافية وفقاً للمعايير الدولية، بما فيها التمييز على أساس العرق، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي السياسي أو غيره، أو الأصل القومي أو الاجتماعي، أو الملكية، أو المولد، أو أي وضع آخر، أو الميل الجنسي، أو الهوية الجنسانية، أو السن، أو مركز المهاجر، أو الإعاقة، أو الفقر. ويلزم أيضاً ضمان مشاركة السكان الريفيين. وتقر المقررة الخاصة علاوة على ذلك بالحاجة إلى العمل في المستقبل على إعمال حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة ومشاركتهم الكاملة في هذه المبادرات.

٧٨- ويتمثل أحد الشواغل الرئيسية في تفشي التمييز بين الجنسين. فقد لاحظت اليونسكو مثلاً أن "تفاوتاً متعدد الجوانب بين الجنسين لا يزال قائماً في جميع المجالات الثقافية تقريباً وفي معظم أنحاء العالم"(٥٠). ومن ثم، يتعين التصدي لهذا الأمر حتى يتسنى للمرأة المشاركة على قدم المساواة في المبادرات الفنية والثقافية الملتزمة اجتماعياً. وتتضمن المبادرات المطلوبة الاعتراف الكامل بالنساء مبدعات وتشجيعهن على ذلك، وإزالة العوائق على مسار مشاركتهن الكاملة في الفنون والثقافة وتمتعهن بها، ومنع الاعتداءات الجنسانية على الحرية الفنية. وتتضمن هذه الاعتداءات الجنسانية معاقبة النساء الفنانات على ما يلبسن، ومنعهن من تقديم عروضهن الخاصة أو بثها، والهجمات التي تُشن على الفن النسائي، ومنع المواضيع الفنية والثقافية ذات الصلة بالمثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسية(٥١).

٧٩- ويكمن أحد الإجراءات الأساسية الأخرى في مكافحة التحرش الجنسي في مجالات الفن والثقافة بطريقة فعالة وفورية؛ وقد بدأ هذا الأمر يفتضح بفضل الحملات الشجاعة في

(٥٠) A. Joseph, "Gender equality: missing in action", in *Re|Shaping Cultural Policies: Advancing Creativity for Development 2018*، مرجع سبق ذكره، الصفحة ١٨٩.

(٥١) المرجع نفسه، الصفحة ١٩٩.

وسائل التواصل الاجتماعي مثل #MeToo و#BalanceTonPorc و#أناكمان و#YoTambien وحملات أخرى تتصل بذلك بلغات شتى في جميع أنحاء العالم أسمعت العديد من النساء في مجالي الفنون والثقافة أصواتهن من خلالها. وكانت هذه الحملات حاسمة في مجال المساواة في الحقوق الثقافية. ومن أجل تشجيع الفنون والثقافة الملتزمة اجتماعياً التي يمكن أن يكون لها تأثير إيجابي في المجتمع وفي التمتع بحقوق الإنسان، يتعين أن تحترم ممارسات الإنتاج نفسها في هذه القطاعات حقوق الإنسان والمساواة. وتتساءل الممثلة المكسيكية سلمى حايك، تعقيباً على التحرش الجنسي الذي تعرضت له عندما كانت تصور فيلماً عن حياة الفنانة الملتزمة اجتماعياً فريدا كالو "لماذا تحتاج الكثيرات منا، نحن الفنانات، شن حرب لسرد رواياتنا ...؟ لماذا يتعين علينا القتال بشراسة للحفاظ على كرامتنا؟ أعتقد أن السبب هو أنهم بخسوا فننا إلى هذه الدرجة المنحطة لأننا نساء ... وما لم تتحقق المساواة في صناعتنا هذه، ويكون للرجال والنساء القيمة نفسها في كل جانب من جوانبها، فإن صناعتنا ستظل مرتعاً للمتحرشين"[٥٢].

٨٠- وتحيي المقررة الخاصة المبادرات من قبيل #WakingTheFeminists في آيرلندا التي احتجت على قلة عدد المخرجات وكاتبات المسرحيات اللائي شاركن في إحياء المسرح الوطني الآيرلندي، the Abbey، ذكرى انتفاضة عام ١٩١٦[٥٣]. فقد دعت هذه الحملة الفنية للمجتمع المدني، التي وظَّفت واسطة هامة من وسائط التواصل الاجتماعي، مجالس الإدارة والمديرين الفنيين للمسارح التي يمولها القطاع العام إلى إيلاء مزيد من الاهتمام لمسألة التوازن بين الجنسين، ودفعت المسرح الوطني إلى اعتماد مبادئ توجيهية للمساواة بين الجنسين، ومجلس السينما الآيرلندية إلى اعتماد خطة المساواة بين الجنسين بنسبة ٥٠/٥٠[٥٤].

٤- وضع أهداف واضحة وخطط تقييم مكيفة

٨١- ركزت البنى التحتية رغم قلتها على إمكانات الإجراءات التصالحية والتحويلية المتعددة الأشكال بخصوص ما تحقق من نتائج في مجالي الفنون والثقافة، وذلك لعدم وجود بروتوكولات معترف بها للتقدير والتقييم تكون مكيفة مع أهداف بعينها وموائمة لقياس إنجازاتها. وتتضمن هذه الإجراءات بناء العلاقة الطويلة الأجل المطلوبة للتصدي لانتهاكات حقوق الإنسان، واحتضان التنوع الثقافي والمساواة، وتعزيز الثقة، والإسهام في المصالحة. وينطوي العديد من استراتيجيات التقييم القائمة على عمل يستغرق وقتاً طويلاً لوضع تدابير يشترطها المانحون والمساهمون لكنها التي لا تتطابق مع ما يتضمنه هذا العمل من فروق دقيقة. وتدعو الحاجة إلى تركيز الاهتمام على هذه المشاكل المتعلقة بتحسين طرائق التمويل والتقدير والتقييم.

٨٢- ويحتاج الأكاديميون والممارسون وواضعو السياسات فرصاً للتعاون فيما بينهم. ومن شأن مراكز الابتكار وتوليد المعارف الموجودة في الجامعات، والمنظمات الثقافية الكبرى، والمؤسسات، والمنظمات المستقرة الأخرى أن تساعد على تأهيل أفرقة متعددة التخصصات - تتضمن فنانين وعاملين في ميادين التنمية، والتصميم الحضري، والتعافي من الصدمات، والعمل الاجتماعي،

(٥٢) S. Hayek, "Harvey Weinstein is my monster too", *New York Times*, 12 December 2017.

(٥٣) Joseph, "Gender equality", p. 193.

(٥٤) انظر نتائج الدراسة: *Gender Counts: An Analysis of Gender in Irish Theatre 2006–2015*, June 2017.

وحقوق الإنسان، والعدالة الانتقالية[٥٥] – وتؤدي دور فروع إقليمية مترابطة فيما بينها ومع المبادرات المحلية والوطنية والإقليمية في مناطقها. وستكون هذه الأفرقة مؤهلة لتيسير التبادل والتدريب والتوجيه داخل هذه المناطق وفيما بينها[٥٦].

٨٣- ويمكن للوكالات والمنظمات غير الحكومية والمؤسسات العامة التي ترعى وتدعم هذه المبادرات تثقيف موظفيها بشأن حقوق الإنسان ومعايير الحقوق الثقافية ذات الصلة بالأعمال التطبيقية التشاركية الفنية، لا سيما المعايير المتعلقة بالحق في المشاركة في الحياة الثقافية وتنمية المجتمع وحرية التعبير الفني للجميع. ويمكنها أيضاً تشجيع التعاون بين الفنانين والنشطاء وسائر أصحاب المصلحة المعنيين في سعيهم إلى بلوغ أهداف مماثلة.

سادساً- الاستنتاجات والتوصيات

ألف- الاستنتاجات

٨٤- بالنظر إلى طبيعة المشاركة الجمالية، يمكن أن تسهم المبادرات في مجال الثقافة إسهامات قوية ومتميزة تنشئ مجتمعات أكثر احتراماً للحقوق وتطورها وتديمها، لا سيما في أعقاب اندلا ع العنف، وفي المجتمعات المنقسمة انقساماً عميقاً. وتتيح هذه المبادرات فرصاً بالغة الأهمية لبناء القدرة على التفكير النقدي واحترام التنوع الثقافي والمساواة وعالمية حقوق الإنسان. ومن شأن العمليات الثقافية والفنون القائمة على ممارسة الحقوق الثقافية، والعمل التشاركي والشامل مع السكان المحليين الذي يهدف إلى بناء الجسور عبر الانقسامات الاجتماعية، والاحتفالات والطقوس العامة التي تزيد من الاعتراف بالكرامة الإنسانية، أن تتسم بأهمية بالغة لتحقيق طائفة عريضة من أهداف حقوق الإنسان. ومن الأهمية بمكان أن ينظر الفاعلون المعنيون جميعاً في فوائد اعتماد نهج الحقوق الثقافية – الذي يركز على عالمية حقوق الإنسان، والتنوع الثقافي، وعدم التمييز، والمساواة، والعناصر الأساسية للمشاركة والتشاور – في تصميم جميع المبادرات من هذا القبيل ودعمها وتعزيزها وتمويلها وتقييمها.

باء- التوصيات

٨٥- ينبغي أن تصدق الدول على العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتنفذه بالكامل، وأن تنضم إلى البروتوكول الاختياري الملحق به.

٨٦- ينبغي أن تضطلع الحكومات الوطنية ودون الوطنية والمحلية بما يلي:

(٥٥) انظر مثلاً: For instance, see J. White and C. Cohen, "Strengthening work at the nexus of arts, culture and peacebuilding", report for Search for Common Ground, Brandeis University Program in Peacebuilding and the Arts, February 2012; and M. LeBaron and C. Cohen, *Breathing Life Into the Ashes: Resilience, Arts and Social Transformation*, final report of the Peter Wall Institute for Advanced Studies international round table, University of British Columbia Peter A. Allard School of Law, October 2013.

(٥٦) وفقاً للمادة ١٥-٤ من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

(أ) الالتزام بالمعايير الدولية المتعلقة بالحق في المشاركة في الحياة الثقافية، وبتنوع أشكال التعبير الثقافي، وبحرية التعبير، بسبل منها الاعتراف بأنه لا ينبغي التسامح مع التحريض على الكراهية والعنف؛

(ب) احترام وضمان حقوق الإنسان للفنانين والعاملين في المجال الثقافي وجمهورهم. واتخاذ تدابير عاجلة للتحقيق في التهديدات والاعتداءات الموجهة ضد هؤلاء الأشخاص، وتقديم الجناة المزعومين إلى القضاء وفقاً للمعايير الدولية. ويجب الإفراج فوراً عن جميع الفنانين المسجونين بسبب ممارسة حريتهم الفنية؛

(ج) تقديم ما يكفي من الدعم والأمن للفنانين والعاملين في المجال الثقافي والجمهور والمشاركين؛ وإنشاء وتعزيز شبكات لدعم الفنانين والعاملين في المجال الثقافي الذين يخاطرون بأنفسهم في مناطق النزاعات العنيفة ويواجهون القمع؛

(د) إتاحة اللجوء للذين أفضت بهم أعمالهم الفنية أو الثقافية، بما فيها الأعمال الملتزمة اجتماعياً، إلى اضطهادهم، وتيسير مواصلة عملهم في المنفى؛

(هـ) جمع المعلومات عن المبادرات الفنية والثقافية الملتزمة اجتماعياً، فضلاً عن الموارد الفنية والثقافية المحلية، بغرض الاعتراف بإسهاماتها في المجتمع، ودعمها دعماً فعالاً؛

(و) إشراك الفنانين والعاملين في المجال الثقافي، لا سيما الناشطين في العمل الملتزم اجتماعياً، في تخطيط وتنفيذ وتقييم المبادرات الرامية إلى التصدي للانقسامات الاجتماعية، ومعالجة مسائل حقوق الإنسان، وفي مبادرات العدالة الانتقالية؛

(ز) تقليل مخاطر الرقابة الذاتية واستغلال الفنون والمبادرات الثقافية، عن طريق ما يلي:

'١' تركيز الموارد على تمويل البنى التحتية المحلية اللازمة للعمل الفني، مثل المسارح والمراكز الثقافية المحلية والأماكن العامة للإنتاج الفني، فضلاً عن برامج التدريب على مختلف الأشكال الفنية؛

'٢' إيجاد فرص لمختلف الفاعلين للمشاركة بشكل إيجابي في الإنتاج الفني والثقافي[٥٧]؛

'٣' شحذ الوعي بأهمية التعبير الفني والإنتاج الثقافي، بما في ذلك التعبير الملتزم اجتماعياً، بغية زيادة الدعم العام لهذا النشاط وللأشخاص المشاركين فيه؛

'٤' وضع عملية شفافة ومعايير واضحة لاختيار الفنانين والعاملين في المجال الثقافي المؤهلين للحصول على منح الدعم الممول من القطاع العام، أو المبادرات الفنية التي تُنظَّم في الأماكن العامة؛

(٥٧) انظر أيضاً الوثيقة A/HRC/25/49، الفقرة ٧٢.

'٥' إنشاء أفرقة استعراض أو هياكل أخرى للمساءلة تتيح تمثيلاً واسع النطاق لقادة المجتمع المدني الذين يحظون بالاحترام، وتستطيع الحفاظ على استقلال الفنانين؛

(ح) إيجاد فرص للتبادل بين الفنانين من بلدان لها تاريخ من النزاع أو العداوة، فضلاً عن مشاركتهم في الأفرقة المتعددة التخصصات والشبكات المحلية والإقليمية والعالمية؛

(ط) بناء شراكات وتعزيز التعاون بين المؤسسات التعليمية والمنظمات الثقافية والفنانين الملتزمين اجتماعياً؛

(ي) اتخاذ تدابير فعالة، وفقاً للمعايير الدولية، لمكافحة التمييز، بما في ذلك التمييز ضد المرأة، وتعزيز التنوع في المجالين الفني والثقافي، بسبل منها التصدي فوراً للتحرش الجنسي في هذين المجالين؛

(ك) زيادة حجم الميزانيات المخصصة للثقافة قدر الإمكان، والامتثال على أقل تقدير لتوصية اليونسكو بأن تخصص الحكومات ١ في المائة من مجموع نفقاتها للثقافة.

٨٧- ينبغي لآليات العدالة الانتقالية والعمليات القانونية التي تضع مخططات الجبر لضحايا الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان أن تضطلع بما يلي:

(أ) تنسيق جهودها مع المنظمات الفنية والثقافية التي لها التزامات طويلة الأجل مع قواعدها الشعبية، واحترام نزاهة هذه المنظمات واستقلالها؛

(ب) إشراك المواهب والمنظورات في مجالي الفن والثقافة، لا سيما في ما يتعلق بعمليتي التذكر وتخليد الذكرى، بغرض النهوض بالقدرات التأملية والتواصلية اللازمة لتعزيز السلام وبناء الثقة.

٨٨- ينبغي أن تضطلع المؤسسات الثقافية بما يلي:

(أ) اعتماد نهج قائم على الحقوق الثقافية؛

(ب) الالتزام بإبراز منظورات متنوعة ملتزمة اجتماعياً، بما في ذلك أعمال الفنانين والمهمشين، في معارضها وعروضها وبرامجها العامة لتيسير تفاعل أصحاب الآراء المختلفة، وفقاً للمعايير الدولية؛

(ج) الدعوة إلى أنشطة تعاون إبداعي تتضمن أعمال فنانين وإنتاجات ثقافية تمثل مختلف جوانب الانقسامات الاجتماعية والسياسية، وتعددية النظرة إلى العالم، بما فيها النظرة الدينية وغير الدينية، والتفسيرات المختلفة للأديان؛

(د) تيسير اجتماعات أصحاب المصلحة المشاركين في المجال الثقافي لتمكينهم من التفكير بأمان في الأبعاد الأخلاقية لممارستهم، وإنشاء شبكات تخصهم؛

(هـ) تنظيم الأنشطة واتخاذ الخطوات اللازمة لزيادة وصول الجمهور إلى المؤسسات الثقافية، وإتاحة الفنون والثقافة خارج المؤسسات، ونقلها إلى الأماكن العامة عندما تجتمع الشروط وتسمح الظروف الأمنية بذلك؛

(و) تعزيز إنشاء المؤسسات الثقافية في المناطق والأحياء السكنية المحرومة.

٨٩- ينبغي أن تضطلع المؤسسات الثقافية بما يلي:

(أ) ضمان تعريف طلبة الفنون والعمل الاجتماعي والدراسات القانونية وتحويل النزاعات وسائر الاختصاصات بالحقوق والقواعد والمعايير الثقافية، وبأمثلة عن المبادرات الفنية والثقافية الملتزمة اجتماعياً التي تسهم في جعل المجتمعات أكثر احتراما لحقوق الإنسان؛

(ب) دعوة الفنانين والعاملين في المجال الثقافي والمنظمات ذات الصلة المشاركة في عمليات المصالحة إلى برامج تمكنهم من الإسهام في تعليم وتدريب الجيل المقبل من الممارسين، وتزودهم بالفضاء والدعم اللازمين لتوثيق ممارستهم وتدبرها، والتعاون مع الباحثين في إنجاز أعمال جديدة، والنظر في اعتماد نهج الحقوق الثقافية؛

(ج) استضافة منتديات ومهرجانات ومؤتمرات تتيح للفنانين والباحثين وخبراء العدالة الانتقالية وغيرهم فرصاً للتفكير معاً في عملهم ومنهجيتهم وإنشاء شبكات تخصهم. والنظر في إنشاء مراكز للإبداع في هذا المجال؛

(د) إيجاد مواد تعليمية وتدريبية تتضمن أمثلة على أفضل الممارسات، واعتماد منظور للحقوق الثقافية، ونشر هذه المواد على نطاق واسع؛

(هـ) زيادة حصص تعليم الفنون والثقافة بهدف تدعيم التفوق التقني وتعزيز حقوق الإنسان، وزيادة قبول المساواة والتنوع، وإدراك مدى تعقد الأمور وتعدد المعاني؛

٩٠- ينبغي أن تضطلع المنظمات غير الحكومية، بما في ذلك العاملة منها في مجالات التنمية وتحويل النزاعات وحقوق الإنسان، عند إدراج الفنون ضمن عملها، بما يلي:

(أ) إقرار واحترام الأبعاد الجمالية التي هي قوام هذه المبادرات؛

(ب) إشراك الفنانين والعاملين في المجال الثقافي، بمن فيهم أولئك الذين يعملون على المستويات المحلية ذات الصلة، في جميع مراحل عملهم؛

(ج) السعي إلى إدامة المبادرات بحيث يمكن مواصلة العمل في حال توقف التمويل الخارجي.

٩١- ينبغي أن تضطلع منظمات التمويل على الصعيد الوطني والإقليمي والدولي بما يلي:

(أ) البحث عن فرص لاجتماع الأفرقة المتعددة التخصصات ودعمها للعمل معاً بمرور الزمن؛

(ب) دعم توثيق العمل في هذا المجال، وتطوير الفروع والفرص والبنى التحتية الإقليمية للعمليات الميدانية، بما في ذلك الدورات التأهيلية، ووضع المواد التعليمية والتدريبية؛

(ج) إشراك الفنانين والمستشارين الثقافيين لتحديد خطط تقييم واضحة ومرنة تأخذ في الاعتبار تغير الظروف وتقيم تأثيرها على جميع الأطراف وتقيم مساءلتها، وإشراكها في المقترحات وفي استعراض المقترحات؛

(د) دعم ترجمة المبادرات الثقافية إلى العديد من اللغات.

٩٢- ينبغي أن تضطلع المنظمات والهيئات الدولية بما يلي:

(أ) بناء وتعزيز "تحالفات للثقافة"، وإدراج الثقافة في جميع عمليات بناء السلام الدولية؛

(ب) مناصرة المبادرات الفنية والثقافية والتعريف بها بغية تعزيز حقوق الإنسان، وإشراك مختلف أصحاب المصلحة على الخصوص، الذين تؤثر سياساتهم وإجراءاتهم في سياق هذا العمل ونتائجه؛

(ج) مناصرة ودعم استخدام الفنون والثقافة في السياسات الرامية إلى معالجة الانتهاكات السابقة والحالية لحقوق الإنسان والتمييز والإقصاء والأصولية والتطرف، والصدمات الناجمة عن الأحداث العنيفة؛

(د) إيجاد فرص للمشاركة المتعددة التخصصات بشأن النهج المتبعة لتحسين احترام المجتمع حقوق الإنسان وإعماله إياها، بما في ذلك الحقوق الثقافية، وضمان مراعاة منظورات ومعارف الفنانين والعاملين المحليين في مجال الثقافة.